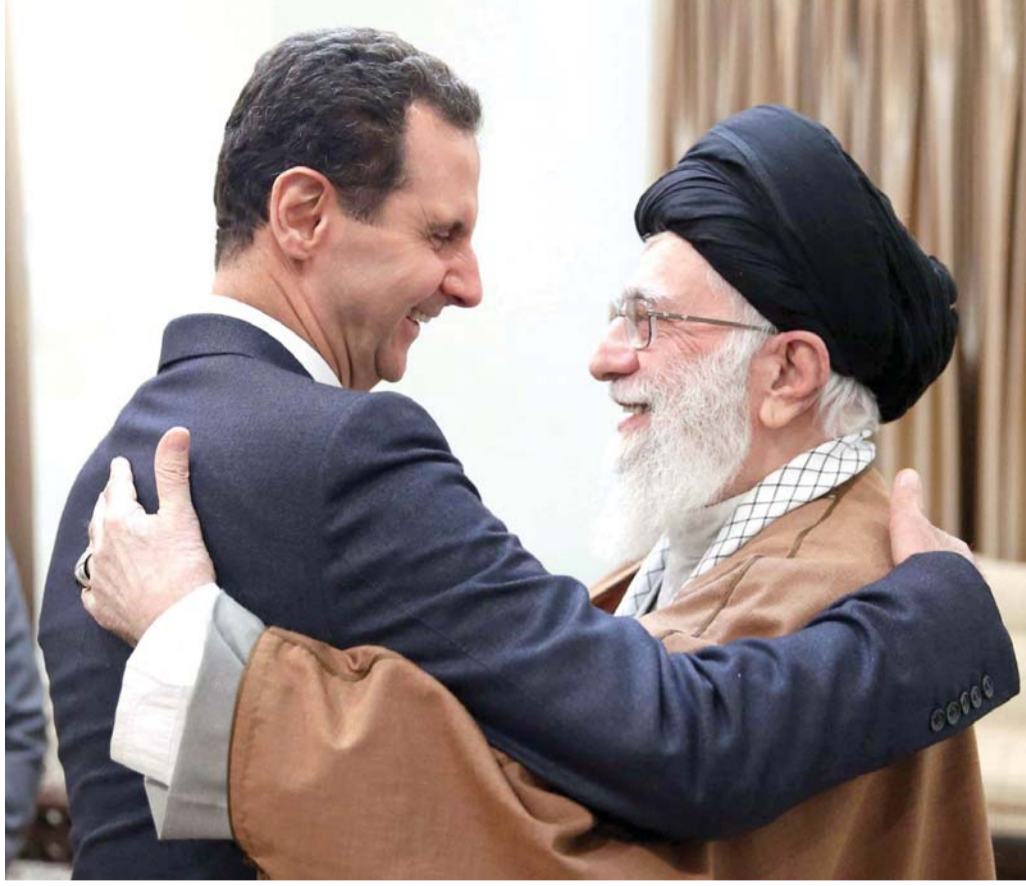


## الانشطار السوري أكثر من مجرد خلاف سياسي



قد يشكل أي تهديد مزعج للعلاقات الأمريكية. أوضاع كهذه لا يمكن أن تكون مفاتيح الحل لها في أدرج مجلس الأمن ولا الأمم المتحدة ولا هيئات المعارضة ولا لجانها الدستورية ولا حتى في جيب الأسد ذاته. حينها يصبح من العبث إبقاء السوريين لقضيتهم قضية محلية سورية وحسب، وهذا يتوقف على الدرجة التي تغتبر فيها وعيهم السياسي خلال السنوات العشر الماضية، وإبراهيم للواقع من حولهم.

تلك اللحظات. صحيح أنه ظهرت منذ ذلك الحين وحتى اليوم، بدائل معقولة لضمان المصالح في المنطقة، غير أن العامل الإسرائيلي، المعني كل العناية بمن يحكم دمشق، لا يزال لا يرى أن بلداً بالمثل الجغرافي والتاريخي مثل سوريا، يمكن أن يكون هامشياً في حساباته، لذلك اشتغل على التفاهم مع الروس للعمل كوكلاء عن الإسرائيليين في الملف السوري، الذي تتسفر أعينهم ليس فقط على أمن إسرائيل، وإنما على عكس إعادة الإعمار القادمة في سوريا، والتي لن يقبلوا بان تطلها أيدٍ قبل أيديهم، أما الروس فصالحهم مضمونة مع الطرفين، النظام والمعارضة، لو أرادوا، إلا أنهم يفضلون العامل الأقوى: الإسرائيلي بالطبع. بينما يراقب الأميركيون العلاقة الإسرائيلية - الروسية الحميمة، معتبرين أنها علاقة عابرة لن تنجب تحالفاً تاريخياً

إلى رؤسائه أنه يجب على الحكومة الأمريكية إيقاف ما سماه بـ"سقوط سوريا" تحت الهيمنة الروسية. أما سلووين لويدي وزير الخارجية البريطاني، في تلك الفترة، فقد طالب بعمل حاسم تجاه سوريا في المستقبل القريب، وأصدر أنتوني أيدن رئيس الوزراء أوامره إلى كل من وزارة الخارجية والاستخبارات البريطانية للعمل على تأسيس نظام "مناسب" في سوريا، معطياً الإذن بشن العملية "ستراغل" وتعني بالعربية "الانتشار المبعثر"، والتي دعمتها واشنطن بالطبع. وفي النهاية نجح مشروع وحيد دون غيره، لا يزال يحاول النجاة من العاصفة تلك المشاريع وغيرها، كانت تنظر إلى ضرورة السيطرة على سوريا، لضمان المصالح في الشرق الأوسط اليوم، فالظروف الحالية غير بعيدة عن

يمكن ألا تجده إسرائيل تهديداً لها؛ أو بصياغة أخرى، يمكن لإسرائيل أن تجده مفيداً لمصالحها، كما بحثت دول مثلها سابقاً عن حالة كهذه؟ لا يدور هذا النقاش في هذه المقالة اليوم فقط، فقد كان محتملاً من قبل، حين تصارعت مشاريع عدة على سوريا أواسط القرن العشرين، وكان اللاعبون تقريباً هم لاعبو اليوم مع بعض التغييرات الشكلية، وحينها عملت وزارة الخارجية الأمريكية بكثافة على تصميم أفكار عديدة حول سوريا، مقترية أكثر من التفكير البريطاني الذي كان قلقاً للغاية حيال ترك سوريا بعيداً عن السيطرة الغربية، ما استنفر طاقات جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأميركي آنذاك، فعقد سلسلة من الاجتماعات مع خبراء السي.اي.إيه كانت نتيجتها صياغة توصيات نهائية تم رفعها إلى الرئيس دوايت أيزنهاور، وكانت تشير بوضوح إلى ضرورة إقامة نظام حكم "مناسب" في سوريا. وتم وضع الخطة التي سميت "مشروع أوميغا" التي اشترك في تصميمها كل من مدير الاستخبارات المركزية آلن دالاس، وخبراء شؤون الشرق الأوسط كيرمت روزفلت وأرشيبالد روزفلت وويلبر إيفلاند، وتم تكليف السفير الأميركي في لبنان راييموند هير بقيادة العملية.

أذاك حظيت "أوميغا" بموافقة ومباركة أيزنهاور لأنه، كعسكري مخضرم، كان يرى أن سوريا إذا خرجت عن السيطرة فسيؤدي ذلك حتماً إلى خسارة منطقة الشرق الأوسط كلها. لم يسمع أحد حينها كلاماً عن دعم المعارضة لتشكيل كيان ديمقراطي في سوريا، بل كانت الخطة الأميركية تقضي بسيطرة الجيش على السلطة، لكن لم يجر المضي بها بسبب نشوب حرب السويس واضطراب المنطقة، ثم عادت واشنطن وطرح خطة أخرى سميته بالعمليّة "أوبن" التي تقضي أيضاً بإبصال الجيش إلى السلطة، وكان هدفها تأسيس مجلس عسكري حاكم، ولا ضرورة للإشارة إلى أن نغمة الحل في سوريا عبر تشكيل مجلس عسكري "منقذ" تتصاعد في هذه المرحلة، وقتها كانت الفكرة بناء على توصيات مبكرة من السفير الأميركي في دمشق جيمس إس موس الذي كتب في برقية أرسلها

اعتبارهما للملف السوري تفصيلاً صغيراً من عاجل في لقاؤهما الأخير في جنيف، بعيداً عن قرارات مجلس الأمن واتفاق جنيف إياه، لا يعكس حقيقة ما يفكر فيه العالم حول هذا الملف. فبقاء منطقة حساسة مثل هذا البلد بموقعه الجيوسياسي الفريد، في حالة فوضى وانهيار اقتصادي وشذمة عسكرية ليس موضوعاً للنقاش. الجواب دوماً هو: يجب إنهاء الأوضاع والوصول إلى حالة الاستقرار، لم يعد مهماً كيف؛ ولكن من المهم جداً السؤال؛ بمن يتحقق الاستقرار المنشود؟

الروس يعتقدون أن الأسد أو أيًا من مشتقات نظامه في المستقبل، ضمان للاستقرار، والأميركيون يعتقدون أن الجواب يجب ألا يأتي من دمشق، بل من الأطراف المستفيدة من استقرار دمشق وسوريا تالياً، وعليه، لا يهم بمن يستحق الاستقرار طالما أن الفائدة قائمة، والفائدة هنا متحققة بخصوص جميع حلفاء واشنطن وأعدائها، من تل أبيب إلى أنقرة وطهران وموسكو. وليس العرب مع الأسد.

وسيكون من الصعب على السوريين مطالبة العالم بحل مشكلتهم، فضلاً عن الإشقاء العرب، طالما بقيت تلك المعادلة قائمة، ولماذا المساعدة أصلاً، ما دامت لا تتوافر مصلحة مباشرة لكل تلك الأطراف في تغيير الواقع؛ إذ لا أحد مستعد لدفع الثمن إلى يوم القيامة. كما أن هناك عوامل لا يجري الحديث عنها بصراحة، وعند ذلك لا يمكن التقدّم لمعالجة مرض دون ذكر جميع الأعراض المحيطة بحالته الصحية.

من تلك العوامل، العامل الإسرائيلي الذي يجب النظر إليه بعين الاعتبار عند الحديث عن الملف السوري، فإسرائيل ليست لوكسمبورغ ولا المنطقة الحبيابة بين الكويت والسعودية والعراق، وهي بتاريخها الإثنيكالي مع الدول العربية ومن بينها سوريا التي تحتل لها إسرائيل مرتفعات الجولان، تشكل فاعلاً مؤثراً في المعادلة والأوضاع بالعموم في الشرق الأوسط، وحين لا يرى السوريون ذلك ولا ينظرون إليه على أنه محرّم لدى غالبية منهم، أو مغامرة لكسر التحريم لدى قلة حاولت، فهم يتجاهلون حجراً أساسياً في اللعبة. ويصح السؤال؛ ما هو شكل النظام الذي يمكن أن يقوم في دمشق والذي

إبراهيم الجيبين  
كاتب سوري

من أوهام العرب في لحظتهم السياسية هذه، أن القضايا المصرية مثل الاستقلال والتنمية والتحول الديمقراطي، يجب أن تبقى محصورة في الشأن المحلي. وأن ما يجري في سوريا هو مسألة سورية، وبالتالي فإن ما يجب أن يشغل تفكير السوريين هو فقط إنقاذ بلدهم من الكارثة التي حلت به، إثر الصدام ما بين توجهات جيل جديد تمتع بوعي جديد، وجيل قديم، وإن كان بعضه بجلد جديد، لا يزال مصرّاً على البقاء في العصور المظلمة.

الانشطار السوري لم يكن مجرد خلاف سياسي، هو صراع بين مستويي وعي ودرجة انفتاح وأخرى، وعليه فإن الاحتدام القائم اليوم لن يتوقف على الاختراقات السياسية أو التفاهات الدولية أو حتى خرافتي توحيد المعارضة وتغيير سلوك نظام الأسد، لأن المعارضة لن تتوحد، والأسد لن يتغير.

أوضاع سوريا لا يمكن أن تكون مفاتيح الحل لها في أدرج مجلس الأمن ولا الأمم المتحدة ولا هيئات المعارضة ولا لجانها الدستورية ولا حتى في جيب الأسد ذاته

اليقيني في ذلك مرده إلى أن العالم الجديد سوق، وأن هذه السوق صارت بأنياب، ولم تعد مثل "سوق الحميدية" في دمشق القديمة للترفيه والتزّهر والتسوّق الاختياري، وإنما فرض السوق الجديدة قيمها ومفاهيمها على المساحات عبر الخرائط بلا رحمة، وكل من يصّر على العيش رغماً عن السوق تلتهمه وتهضمه وتلقي به خارج التاريخ. الترف الذي يتعامل على أساسه كل من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ونظيره الأميركي جو بايدن في

## لهذه الأسباب لن تنهار تونس

العرب  
أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

قصار النظر فقط، سيرون في الخلافات الدائرة بين قصر قرطاج، وقصر القصب، وقصر باردو، وساحة محمد علي، دليل اعتلال الخلافات على عكس ما يظنه الشامتون دليل صحة وتعاف. لن تنظلي الحيلة على التونسيين، وإن اندخ بعض منهم بعض الوقت. وكما نجحت تونس في تجاوز آثار الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم وتزامنت مع انطلاق الثورة، وحيدة، ستتمكن تونس من تجاوز آثار أزمة كورونا وحيدة أيضاً.

في العام 2005 كتبت أول مقال لي عن تونس، في تونس، وكان بعنوان "تونس ليست مدينة فاضلة.. تونس مدينة من لحم ودم وعرق".

18 سنة مرت، وإن كان لي بعد هذا الوقت كله أن أصف تونس، ما وجدت أفضل من هذا العنوان وصف لها. الذين يراهنون على انهيار تونس، ستخيب آمالهم وهذه ليست نبوءة عراف، بل نبوءة شخص عرف عن قرب أن تونس دولة مؤسسات وقانون.

كانت تونس دولة مؤسسات في عهد الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة، وفي عهد الرئيس الراحل زين العابدين بن علي. وبقيت دولة مؤسسات في عهد أربعة رؤساء حكموا تونس بعد الثورة هم: محمد فؤاد المبرع، والمنصف المرزوقي، والباجي قائد السبسي، والرئيس الحالي قيس سعيد. تونس لن تنهار. ببساطة، لأنها دولة مؤسسات وقانون. شعب يرفع شعارات تؤكد أنه سيرضى أن يعيش بالخبز والماء على أن يرضى بالظلم، لا خوف عليه. خلال عشر سنوات وأزمتين وثورة، لم تشهد الأسواق التونسية نقصاً في المواد الغذائية، ولم تنقطع الكهرباء والماء والغاز عن التونسيين، ولم يتوقف عمل المحاكم، ولم يتوقف رجال الأمن عن حماية الناس. إن لم تكن هذه معجزة، فماذا تكون؟

الذين يراهنون على انهيار تونس ستخيب آمالهم، وكما نجحت في تجاوز آثار الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم وتزامنت مع انطلاق الثورة وحيدة، ستتمكن من تجاوز آثار أزمة كورونا وحيدة أيضاً

ولم يتراجع الاستثمار في السياحة والصناعة، ولم تغلق المؤسسات العلمية والتعليمية أبوابها، بل على العكس ازدهرت الجامعات الخاصة التي استطاعت أن تجذب طلبة من الدولة الأفريقية.

وحيدة، استطاعت تونس أن تجتاز الأزمة وبأقل الأضرار. وبينما تونس تنتهي لقطف ثمار ثورتها، جاءت جائحة كورونا، لتعرقل هذا النجاح. ولكن، تونس في هذا ليست استثناء، العالم كله أصيب بالشلل. وحاولت تونس المتعبة أن تخفف من آثار الجائحة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. السليبين والمتمسكون بالماضي، وظفوا الأزمة الناجمة عن الجائحة ليقولوا "ألم نقل لكم". ماذا قلتم لنا؟ هل تحاولوا إقناعنا أن دولة دكتاتورية أفضل من دولة حريات وقانون؟ الصور التي تنقلها قنوات إعلامية لشباب محتج، حق براد به باطل. هو حق تضمه لهم تونس، الجنة الديمقراطية التي تكاد تكون وحيدة في العالم العربي. وهو باطل، لأن تلك القنوات تحاول أن توهم بان تونس على شفا حفرة من نار.

والأمنية والإدارية، وهذه الغيرة هي ما دفعهم للاحتجاج على الحادث، حرصاً على سلامة هذه المؤسسات الطبية. يعلم التونسيون أن الأخطاء المهنية أمر لا مفر منه، وهي تحدث في الطب والقضاء والهندسة وفي جميع المهن، ولكن ما هو مهم أنها حالات معزولة لا تعكس ظاهرة فساد.

استطاعت تونس أن تجتاز عشر سنوات عجاف، وخرجت من ثورتها البيضاء، وهي حقاً بيضاء، لتواجه أزمة اقتصادية شملت دول العالم. لنذكر بما كان عليه الحال في اليونان، وإيطاليا، والبرتغال وإسبانيا، بشكل خاص، وهي دول أوروبية ما كان لها أن تجتاز الأزمة الاقتصادية لولا دعم الاتحاد الأوروبي لها. صمدت تونس، ولم توقف من تقدمها الخلافات السياسية بين الأحزاب، بل كانت هذه الخلافات مصدر قوتها وسر. لم تتوقف حركة العمران،

حقيقة الأمر دليل على أن تونس بخير، وأن لا خوف عليها. تونس محمية بأهلها وبنظامها الإداري والأمني والقضائي. الحادث، وهو مؤلم، إلا أنه ثبت أيضاً أن تونس بخير. بل يمكن القول إن تونس اليوم واحدة من أفضل الدول العربية وأكثرها صلابة. ومع ذلك، لا تصح مقارنة ما حدث في تونس، بما يحدث في دول عربية مثل سوريا والعراق ولبنان واليمن، بل وفي الجارتين ليبيا والجزائر. سيكون في مقارنة مثل هذه ظلم وإجحاف. ما حدث مؤلم، ولكنه أيضاً حالة معزولة، تحدث ليس في دول العالم الثالث، بل في دول ذات أنظمة ديمقراطية عريقة. هل نسينا ما حصل في الولايات المتحدة وفي فرنسا منذ فترة ليست بالبعيدة. التونسيون من أكثر شعوب الأرض غيرة على مؤسساتهم القضائية

علي قاسم  
كاتب سوري  
مقيم في تونس

تونس لا تعيش اليوم أفضل أوقاتها، هذا صحيح، ولكن تونس أيضاً ليست على وشك الانهيار، كما يحاول البعض ترويجه. من يتابع التغطية الإعلامية لوسائل إعلام دولية لأحداث تلت نشر مواقع التواصل الاجتماعي فيديو يظهر قاصراً أوقف في 9 يونيو الجاري، عارياً ويتعرض للضرب، قبل أن يقناده أشخاص يعتقد أنهم رجال أمن بثياب مدنية نحو سيارة للشرطة، ومواجهات بين شبان مع عناصر من الشرطة في حي "سبيدي حسين - السجومي" بضواحي تونس العاصمة، عقب وفاة شاب بعد توقيفه، يظن أن تونس مقبلة على ثورة وحرب أهلية، بينما ما حدث ويحدث في

علي قاسم  
كاتب سوري  
مقيم في تونس

تونس لا تعيش اليوم أفضل أوقاتها، هذا صحيح، ولكن تونس أيضاً ليست على وشك الانهيار، كما يحاول البعض ترويجه. من يتابع التغطية الإعلامية لوسائل إعلام دولية لأحداث تلت نشر مواقع التواصل الاجتماعي فيديو يظهر قاصراً أوقف في 9 يونيو الجاري، عارياً ويتعرض للضرب، قبل أن يقناده أشخاص يعتقد أنهم رجال أمن بثياب مدنية نحو سيارة للشرطة، ومواجهات بين شبان مع عناصر من الشرطة في حي "سبيدي حسين - السجومي" بضواحي تونس العاصمة، عقب وفاة شاب بعد توقيفه، يظن أن تونس مقبلة على ثورة وحرب أهلية، بينما ما حدث ويحدث في

